يا نفس
توبي إلى ربك

تأليف
سعيد محمد الشواح

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
الإسكندرية ٥٤٥٢٧٦٩

دار القمة
توزيع الكتاب والشريط الإسلامي
ص.ب: ٥٤١١٦٩ ت: ٢٢٢٠٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

رقم الإيداع
٢٠٠٥ / ٧٥٦٩
الترقيم الدولي
977-331-394-8

جميع الحقوق محفوظة

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع جليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

يا نفس توبي إلى ربك

أيها المسلم الحبيب..

من فترة بعيدة ونحن نتعبد لله تعالى بكل أنواع العبادات، من صلاة وصيام وصدقة، وحج، وعمرة، وذكر دائم لله، ولكن لا أثر بيّن لهذه العبادات.

هذا أمر مُحيّر ومخوّف، أنْ لم تأتِ العبادات أُكُلها المرجو منها، فكان لابد من التفتيش عن الأسباب المانعة من ظهور هذه الآثار لتلك العبادات على الرغم من وجود الاستمرارية على فعلها، فمما لا شك فيه أن هناك عوائق، سواء في النفس أو خارجها أدّت إلى عدم وجود هذا الأثر المرجو من العبادات.

فما هو السبيل لإزالة هذه العوائق؟

اعلم أيها المسلم الحبيب..

أن هناك أربعة محاور أساسية ينبغي لكل مسلم أن يُداوم عليها ليضمن الترقي الدائم في مقام تزكية النفس، وإزالة أي عائق من العوائق التي تمنع من استعذاب هذه

العبادات عند أدائها وتمنع من أن يطعم المؤمن طعم الإيمان:

أولها: محاسبة النفس والنظر في الأعمال:

فحالك أيها المسلم الحبيب.. كحال أجير في مؤسسة قام رئيسها بتحديد مهمات معيّنة ومحددة كلّف بها هذا الأجير على أن يتممها في مدة حُددت له، على أن راتب هذا الأجير سيُحدد على حسب أدائه لهذه المهمات وعلى حسب جودة الأداء وإلاّ تعرض لعقوبة شديدة على إهماله القيام بهذه المهمات قد تصل إلى طرده من العمل والحرمان، فما ظنّك بهذا الأجير؟ أتراه يقصر في أداء هذه المهمات التي كلّف بها؟

- أتراه يهمل أداؤها في الأوقات التي حددت له؟
- أتراه يستهين بأوامر رئيسه ويُلقيها خلفه ظهريًا؟
- أتراه يستهين بهذه العقوبة المقررة عند إهماله وعدم قيامه بهذه المهمات؟

وكذلك أيها الحبيب..

أنت كعبد لله كلّفك الله بمهمّات، وبيّن لنا سبحانه الصورة التي تؤدى بها، وكان وعدٌ بالجائزة لمن أتمها بالصورة المطلوبة، وفي المقابل الوعيد لمن قصر وأهمل واستهان بالأمر.

وأمرنا سبحانه وأوجب علينا محاسبة النفس والنظر في الأعمال التي على مدارها الحساب، ونادى سبحانه وتعالى علينا بنداء لا يحتاج إلى زيغ ولا تأويل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر: ١٨].

وأنت أيها الحبيب.. أبصر بنفسك وبعيوبها وأين مواطن الخلل، ولو تظاهرت بالأعذار والمبررات وجادلت عن نفسك ﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ ﴾ [القيامة: ١٤، ١٥].

فاحذر من اتباع الهوى وتسويف الحساب، فهذا حال الأحمق السفيه «فالكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني» [الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع].

ولتعلم أن الله ناظر إلى أعمالنا، فهل من تجويد وتحسين لها، فالله تعالى كما قال لنا في كتابه: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

سبيلك لتكون المحاسبة همك:

[١] الشعور المصاحب لك برقابة الله عليك، وأنه سبحانه لا يخفى عليه شيء من أمورك مستصحبًا ذلك الشعور؛ لعلمك بأن الله تعالى عليم بذات الصدور وأنه سبحانه يعلمُ خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، وأنه سبحانه يعلم السر وأخفى، ولك أن تُديم النظر الدائم في آيات الله التي تولد عندك هذا الشعور وتقويه ويكفيك من ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٦-١٨]، وكذا ننظر في قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المجادلة: ٧]، وكذا النظر في قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

فيكفيك أيها الحبيب أن تكتب هذه الآيات في

مفكرتك وتُديم النظر إليها دومًا، مع تفهُّمك للمعاني التي تحتويها؛ حتى تجد هذه المعاني تتحرك في دمائك.

[٢] تذكر الموقف يوم القيامة عندما نقف بين يدي الله تعالى للحساب والسؤال، وأن المحاسبة عند الله تعالى على مثاقيل الذر ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٩، ٣٠].

وعليك أيها الحبيب أن تراعي عند المحاسبة تفويتك للطاعات وتضييعك للأوقات، وحسبك أن النّبيّ ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

فإياك أيها الحبيب ثم إياك أن تكون ممن هو مغبون في

هاتين النعمتين، وحسبك كذلك قول نبينا محمد ﷺ: «**لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع..**» [الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع].

أتدري أيها الحبيب ما هي هذه الأربع؟ إنها البنود التي سوف يحاسبنا عليها ربنا تبارك وتعالى، هل ترى أكثر من ذلك وضوحًا وبيانًا، فنبيك وحبيبك محمد ﷺ قال لنا عن بنود الامتحان الذي سوف نسأل عنه عند الله تعالى، فقل لي بربك: لو كان واضع الامتحانات أتى بذلك الطالب وقال له: إن بنود الأسئلة في هذه المادة سوف تكون كذا وكذا، وأملاه هذه الأسئلة التي سوف يُختبر فيها، فما حكمك على طالب نُعت له ذلك، ثم يرسب في الاختبار أو لم يحقق درجات مرتفعة، فما حكمك على هذا الطالب؟، وكذلك ما حكمك على مسلم نعت له رسوله ﷺ بنود الأسئلة التي ستُطرح علينا يوم القيامة- ثم غفل عنها؟

فستُسأل أيها الحبيب يوم القيامة عن عمرك فيما أفنيته، وعن علمك فيمَ فعلت فيه، وعن مالكَ من أين اكتسبته وفيما أنفقته، وعن جسمك فيمَ أبليته.

فأعدْ إجابة لهذه الأسئلة، فالوقت مازال معك، فإياك

أن يتفلت وقد أهملت الإجابة عن هذه البنود الأربع.

فإياك أيها الحبيب ثم إياك من خداع النفس وتزيين الشيطان، ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل: ٢٤]، ولتعلم أن نفسك التي بين جنبيك تحتاج إلى ترويض وإصلاح ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف: ٥٣].

ثانيها: التوبة إلى الله تعالى:

ولاشك أن المسلم سيندفع إلى التوبة إلى الله تعالى كنتيجة طبيعية تأتي بعد محاسبته لنفسه، فإذا عرف ما عليه من الحق ومدى تقصيره في ذلك جمع همّته على التوبة، ولقد أوجب الله تعالى علينا التوبة حيث صلاح العبد وفلاحه وسعادته في الدارين، قال سبحانه: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١].

بل انظر أيها الحبيب إلى آخر ما نادى الله به على المؤمنين بهذاالنداء المحبب إلى القلوب والنفوس: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ

لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التحريم: ٨].

بل أبشر أيها العاصي، فالله تعالى يقبل منك التوبة سواء كان ليلاً أو نهاراً فما عليك إلاَّ دعاء الله واستغفاره والتوبة إليه في أي ساعة شئت، فالله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشورى: ٢٥]، وقال لنا حبيبنا محمد ﷺ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسئ الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» [مسلم كتاب التوبة باب قبول التوبة من الذنوب].

بل انظر إلى رحمة الله تعالى وكيف أنه سبحانه يفرح بتوبتك إليه، فتوبتك أيها الحبيب تُفرح الرب الرحيم، كما قال لنا ذلك رسولنا ﷺ نبيّ الرحمة: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده، حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه، وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» [مسلم كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها].

فهذه بشرى عظيمة، ومن قبل بشّرنا الله بذلك،وناداناباحب الأسماء إليه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

ولقد مدح الله أهل الإيمان برجوعهم إلى ربهم لو قصروا في طاعة من الطاعات، وارتكبوا محظوراً من المحظورات ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ولتكن أيها الحبيب متأسيًا بحبيبك محمد ﷺ الذي ما كان يفتر عن الاستغفار والتوبة؛ ولذا أرشدنا ﷺ إلى ما فيه خيرنا وصلاحنا، فقال ﷺ: «**يا أيها الناس، توبوا إلى الله، واستغفروه؛ فإني أتوب إليه وأستغفره في اليوم أكثر من سبعين مرة**» [مسلم كتاب الذكر والدعاء].

ويكفيك أيها الحبيب: «**إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي**» [البخاري كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء].

فربٌّ رحمته سابقة لغضبه فلا تخشى – والله – أبداً من

رب يضحك، من رب يفرح، من رب رحمته سابقة لغضبه، ولكن إياك ثم إياك أن تستهين بعذابه فتتجرأ على معصيته ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

فإياك ثم إياك بخداع نفسك ونسيان نصوص التخويف والوعيد الشديد للعصاة ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

ثالثها - مجاهدة النفس:

وهذا المحور كنتيجة لإقبال العبد على ربه بالتوبة، فكان لابد من مجاهدة النفس؛ حتى يحملها على الاستقامة على أمر ربها، ولقد دعانا الله تعالى إلى المجاهدة بكل أنواعها خاصة مجاهدة النفس وأمرنا بذلك ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾

[الحج: ٧٨].

ولتعلم أيها الحبيب أن المجاهدة في الله هي مجاهدة النفس في طاعة الله تعالى، وردها عن الهوى، فسبيل العبد

للهداية على طريق ربه المستقيم تبدأ بمجاهدة العبد لنفسه في طاعة ربه ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٩]، وطريقك إلى الجنة لا يتم إلاَّ بمجاهدة النفس ومجانبة الهوى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات : ٤٠، ٤١].

وحسبك أيها الحبيب قول نبينا ﷺ في بيان من المجاهد – أتدري من هو المجاهد ؟! – : «**المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل**» [الترمذي كتاب فضائل الجهاد باب في فضل من مات مرابطًا].

فما هو سبيلك أيها الحبيب لمجاهدة النفس؟

ترويض النفس وتدريبها والتدرج في مجاهدتها، لكي نقوم بتحطيم العادات السَّيِّئة المتأصلة في النفس مع المبادرة بمزيد من الأعمال الصالحة لتتم عملية الإحلال من عادات سيئة موروثة إلى عادات موافقة لسنة نبينا ﷺ، وعليك في ذلك من المداومة على الأعمال الصالحة، فإياك أن تنشئ طاعة من الطاعات، ثم تدعها، ولتعلم كما قال ﷺ : «**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ**» [مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره].

وكذلك عليك بالابتعاد تمامًا عن مواطن المعاصي، وحسبك قصة هذا الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا كما قصّها علينا النَّبيّ ﷺ حيث قال:

«كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدلّ على راهب، فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله، فكمّل به مئة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدلّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مئة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإنّ بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مُقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد؛ فقبضته ملائكة الرحمة» [مسلم كتاب التوبة، قبول توبة القاتل إن كثر قتله].

وعليك أيها الحبيب أن تجاهد النفس على واردات

وخواطر القلب، ويكفيك قول ربك تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وحسبك كذلك قول ربك الخلاق العليم: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وكذلك أيها الحبيب من خير وأفضل ما يُعين الإنسان على مجاهدة النفس واستمرار العبد على التوبة وعدم الرجوع عنها هي الصحبة الصالحة، فكان لذلك.

رابعًا - الصحبة الصالحة:

ويكفيك في ذلك خطاب الله تعالى إلى رسوله ﷺ، فتأمل: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨].

ونادى الله عليك أيها المسلم بأحب النداءات إلى القلوب الطيّبة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقد أمرنا النَّبيّ ﷺ أن لا

نختار لصحبتنا إلاَّ المؤمن: «**لا تُصاحب إلاَّ مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلاَّ تقيّ**» [أبو داود].

وإلاَّ احذر من الندم والحسرة حيث لا ينفع ذلك ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً (٢٩)** ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

ولتعلم أيها الحبيب أن كل خلة لم يكن مبناها واجتماعها وأصلها كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ فإنها لا محالة تقلب إلى عداوة بالغة يوم القيامة ﴿ **الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف: ٦٧].

فنقول لك أيها الحبيب: الصحبة ثم الصحبة ثم الصحبة، فالصحبة الصالحة هي التي تعينك على قطع الطريق إلى ربك بأمان، الصحبة هي التي تدفعك دومًا إلى مزيد من الطاعات والقربات، الصحبة الصالحة هي التي تنتفع بها في الدنيا والآخرة، فتُحقق لك الفوز والسعادة والفلاح في الدارين ﴿ **الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ** ﴾.

كتبه
سعد محمد السواح